# دراسة تاريخية لواقع المجتمع الإسلامي بعد الهجرة النبوية دروس وعبر لواقعنا الاجتماعي

د. عدنان علي الفراجي

الجامعة الإسلامية ـ كلية التربية

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه .

وبعد : فمما لاشك فيه أن ثمة أحداثا مهمة في التاريخ الإنساني بعامة ، وفي تاريخنا الإسلامي بخاصة ، جعلها الله تعالى منطلقا لتغيير مجرى التاريخ . فكانت الهجرة النبوية احد ابرز هذه الأحداث وأهمها .

وحدث الهجرة له صلة بجوانب كثيرة : عقدية ، وتشريعيه ، وسلوكية ، واجتماعية ، وسياسية . . . الخ . لذا آثرت أن اكتب دراسة تاريخية لواقع المجتمع الإسلامي الذي تكون بعد الهجرة النبوية على أسس ومبادئ الإسلام ، ومدى إمكانية الإفادة من قيمه ومبادئه في واقعنا الاجتماعي. انتظم البحث في هذه المقدمة وثلاث مباحث :

المبحث الأول : خصص للحديث عن العناصر التي تكون منها المجتمع الإسلامي بعد الهجرة النبوية . والمبحث الثاني : تحدث عن القيم والمبادئ التي ربطت بين أبناء المجتمع الواحد وإمكانية التأثر بتلك القيم والمبادئ في نجاح المجتمعات . وأما المبحث الثالث : فكان عن الآثار التي ترتبت على تكوين المجتمع الإسلامي بعد الهجرة ، وأبعاد ذلك تاريخيا .

إن الكتابات في هذا الحدث كثيرة جدا ، فكل من كتب في السيرة النبوية أو تاريخ صدر الإسلام أو تطرق إلى حادث الهجرة أشار إلى أهميته وفضله ، وبين ما فيه من حيثيات ونتائج ، ولكني أرجو وان يكون بحثي هذا إسهاما في بيان واقع المجتمع الإسلامي الناجح ، وما يمكننا ان نقتبس من دروس وعبر لفائدة مجتمعاتنا المعاصرة ، وإمكانية النهوض بها سلوكا وأخلاقا ، وقيما فاضلة تخلدها على مدى التاريخ .
والحمد لله أولا وأخرا

المبحث الأول :

العناصر التي تكون منها المجتمع الإسلامي بعد الهجرة .

من البديهي أن كل مجتمع من المجتمعات يتكون من عناصر تعد عماده وقوامه ، والمجتمع الإسلامي الذي تكون بعد الهجرة كان من عنصرين أساسيين هما : المهاجرون والأنصار .

العنصر الأول معظمهم من قريش من أهل مكة الذين تركوا ديارهم وأموالهم وأقاربهم وهاجروا بدينهم ومبادئهم ، وقد أثنى الله تعالى على تضحيتهم بقوله سبحانه : (( لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ )) (١) ، وقال عنهم سبحانه : ((الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ. . )) (٢) .
كان أول المهاجرين من قريش من بني مخزوم أبو سلمه عبد الله بن عبد الأسد بن هلال . . كان رضي الله عنه ممن هاجر إلى الحبشة الهجرة الأولى فلما عاد أخرجته قريش فخرج إلى المدينة مهاجرا ، وقد حال قومه بينه وبين زوجته وابنه ولكنه مضى في طريقه مهاجرا إلى الله ورسوله ، ثم لحقت به أم سلمه وابنها بعد ما يقرب من سنة (٣) . ثم تلاه عامر بن ربيعة وزوجته ليلى ، ثم عبد

الله بن جحش وأخوه عبد بن جحش ، ثم قدم المهاجرون إرسالا منهم عكاشة بن محصن ، وشجاع وعقبة ابنا وهب ، واربد بن حمرة ، ومنقذ بن نباته ، وسعيد بن رقيش . وقيس بن جابر ، ومالك بن عمرو ، وصفوان بن عمرو ، والزبير بن عبيد ، وأسماء عدة غيرهم ذكرهم ابن هشام تحت عنوان (هجرة قوم شتى) (٤).
ثم هاجر عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وطلحة بن عبيد الله بن عثمان ، وصهيب بن سنان ، وعدة من قريش وغيرهم ، ومن مواليهم وسائر من اسلم ، ولم يبق بمكة إلا من فتن أو من كلف بواجب معين .

عند ذاك جاء أمر الله لنبيه بالهجرة إلى المدينة واللحاق بالصحابة وكان ذلك في ذات اليوم الذي عزمت قريش على قتله صلوات الله وسلامه عليه . ذكر ابن هشام ذلك فقال : (( فأتى جبريل عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : لا تبت هذه الليلة على فراشك الذي كنت تبيت عليه (١) . وكان مما انزل الله من القرآن في ذلك اليوم وما اجمعوا له :

((وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ)) (٢) ، وقول الله عز وجل: (( أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ ۞ قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ))(٣).

قال ابن إسحاق : وأذن الله لنبيه صلى الله عليه وسلم عند ذلك في الهجرة (٤) .

نرجع إلى حال المهاجرين إلى المدينة وهم العنصر الأساس في المجتمع الجديد ، تذكر كتب السيرة أن أكثرهم نزل بقباء في منازل بني عمرو بن عوف ، وفي منطقة السُّنح وهي بعوالي المدينة بمنازل بلحارث بن الخزرج،وبعضهم نزل في منازل بني النجار وآخرون في ديار بني عبد الاشهل (٥) .

العنصر الثاني من عناصر المجتمع المدني بعد الهجرة هم الأنصار،وهم الذين اثني الله تعالى عليهم بقوله: (( وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ )) (١) .

الأنصار: هم قبيلتا الأوس والخزرج،هاجر أجدادهم من اليمن اثر حادث سيل العرم فنزلوا يثرب(٢) ، وبمرور الزمن كثروا وعزوا ، ولكن اليهود في يثرب ناصبوهم العداء حتى وقعت الحرب بين الطرفين فكانت الغلبة للاوس والخزرج (٣) .

وكان لليهود دور كبير في إذكاء نار العداوة والبغضاء بين هاتين القبيلتين الكبيرتين، فوقعت بينهما حروب هلك فيها من الطرفين خلق كثير، كان أخرها يوم بعاث ، الذي وقع قبيل الهجرة بخمس سنوات (٤) .

لقد أدرك الأوس والخزرج أن حرب بعاث قد أنهكت قواهم وقتل بسببها العديد من رجالهم ،لذا تطلعوا إلى جمع شملهم ،وإقامة ملك عليهم ،فاختاروا لذلك عبد الله بن أبي بن سلول الخزرجى لمكانته فيهم ،غير أن ذلك لم يتم فقد دخل الإسلام المدينة فغير مجرى الأحداث فيها ، فبعد الهجرة النبوية جمع الله شملهم بالإسلام وتحت قيادة رسول الله صلى الله عليه وسلم (٥) .

ولم نعد نسمع كثيرا عن لفظتي الأوس والخزرج ،إنما صرنا نسمع عن (الأنصار) وهو اللقب الذي أطلق عليهم في الإسلام لمناصرتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم ،وصاروا يفتخرون بهذه التسمية حتى غلبت عليهم ، وصارت في منزلة النسب (١). والواقع أن المدينة المنورة لم تبق على تركيبتها السكانية كما كانت قبيل الهجرة أو بعدها بقليل ، فقد تنوع سكانها بسبب الهجرة المتزايدة إليها بعد الإذن بالقتال في العام الثاني للهجرة ، فقد هاجر العديد من أبناء القبائل العربية إليها وغيرهم لحاجة الدولة الإسلامية الناشئة في المدينة المنورة إلى المزيد من المهاجرين من المؤمنين ليتوطد سلطان الإسلام فيها من جهة ، وللانطلاق في نشر الإسلام في ربوع الجزيرة العربية وخارجها من جهة أخرى فكان

يشترط على كل مسلم جديد أن يهاجر إلى المدينة (٢) ، واستمر ذلك إلى فتح مكة في العام الثامن للهجرة ، حيث أوقفه الرسول صلى الله عليه وسلم فقال:" لا هجرة بعد الفتح ، ولكن جهاد ونية " (٣) .

إن عناصر هذا المجتمع المدني من المهاجرين والأنصار هم بحق أهل إيمان وعمل ، ولهم قصب السبق في ذلك ، فنالوا رضا الله عنهم ووعدهم بالجنات والفوز العظيم ، قال تعالى ( وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ) سورة التوبة / ١٠٠

وهكذا اختار الله تعالى السابقين من المهاجرين من تلك العناصر الفريدة النادرة . . ليكونوا هم القاعدة الصلبة لهذا الدين في مكة ثم ليكونوا كذلك في المدينة مع السابقين من الأنصار الذين دلت بيعتهم للرسول ﷺ ونصرتهم له ان عنصرهم ذو طبيعة أصيلة مكافئة

لطبيعة هذا الدين . وبالمهاجرين والأنصار تكون الأساس المتين من اصلب العناصر عودا في المجتمع العربي (١) .

إن نجاح تجربة المجتمع الإسلامي في المدينة المنورة آنذاك في التعايش السلمي وتكوين الآصرة الاجتماعية الواحدة ، يدل دلالة قاطعة على ان المجتمعات يمكن ان تتنوع عناصرها ولكنها تكون كيانا واحدا إذا جمعتها الروابط المشتركة الصحيحة (كما سنرى في المبحث الثاني ) .

المبحث الثاني :

المبادئ والقيم التي ارتبط بها المجتمع الإسلامي بعد الهجرة .

ثمة روابط وأواصر ارتبط بها المجتمع الإسلامي المدني بعد الهجرة النبوية هي في حقيقتها مبادئ الإسلام العظيم وقيمه السمحاء ، وأهمها " رابطة الدين " بشقيها العقيدة والعبادة فقد اجتهد الرسول صلى الله عليه وسلم وهو يبني مجتمعه الجديد في المدينة المنورة في تعزيز ظاهرة " التدين " بحيث جعله أصلا لا يجوز بشكل من الأشكال نسيانه ولا الغفلة عنه .

فهو اصل تحرر المؤمن من كل ما حوله من مغريات الدنيا ومشوقاتها ، فكلما التصق العبد بربه وخلص اتجاهه إليه ، وقوي طمعه فيما عنده من فضل ورحمة ، ازدادت عبوديته له صفاء ونقاء ، وقوة ومضاء ووهبه تحررا مما سواه ، لأنه وجد كل حاجته عند الله، واغتنى قلبه به (٢) . وكان هذا المبدأ يتجلى في خطب النبي صلى الله عليه وسلم في المهاجرين والأنصار بعد الهجرة ، فمن نماذج ذلك : أول خطبة له صلى الله عليه وسلم انه قال : " أيها الناس قدموا لأنفسكم ، تعلمن والله ليصعقن أحدكم ، ثم ليدعن غنمه ليس لها راع ، ثم ليقولن له ربه... : الم يأتك رسولي فبلغك ، واتيتك مالا وافضلت عليك ؟ فما قدمت لنفسك ؟ فلينظرن يمينا وشمالا فلا يرى شيئا ، ثم لينظرن قدامه فلا يرى غير جهنم . فمن استطاع أن يقي وجهه من النار ولو بشق من

تمرة فليفعل ، ومن لم يجد فبكلمة طيبة ، فان بها تجزى الحسنة عشر أمثالها ، إلى سبع مئة

ضعف ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته (١) . ومن نص آخر يقول فيه صلى الله عليه وسلم مؤكدا على رابطة الدين : (... إن أحسن الحديث كتاب الله تبارك وتعالى ، قد افلح من زينه الله في قلبه،وادخله في الإسلام بعد الكفر ، واختاره على ما سواه من أحاديث الناس ، انه أحسن الحديث وابلغه... فاعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا ... واتقوه حق تقاته ، واصدقوا الله صالح ما تقولون بأفواهكم ، وتحابوا بروح الله بينكم ، إن الله يغضب أن ينكث عهده ، والسلام عليكم (٢) .

ومن المبادئ التي ارتبط بها المجتمع الإسلامي بعد الهجرة " الأخوة " ، وقد طبقت عمليا خلال وبعيد الهجرة بين المهاجرين من مكة والأنصار في المدينة المنورة .

فكان المهاجر من مكة يأوي إلى أخيه في العقيدة ويحل ضيفا عليه فيؤويه ويقوم بخدمته ، ولما هاجر الرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم ، جمع المهاجرين والأنصار وطلب منهم قائلا : " تآخوا في الله اخوين اخوين.... " (٣) . فكان المهاجر مع أخيه الأنصاري يسكن في بيت واحد . فعلى سبيل المثال : أورد ابن هشام قائمة بأسماء الذين آخاهم الرسول صلى الله عليه وسلم كالأتي : " كان أبو بكر الصديق وخارجة ابن زهير الخزرجى اخوين، وعمر ابن الخطاب وعتبان بن مالك الخزرجى اخوين ، وعثمان بن عفان واوس بن ثابت من بني النجار اخوين وطلحة بن عبيد الله وكعب بن مالك من بني سلمة اخوين وأبو عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح وسعد بن معاذ من بني عبد الاشهل اخوين ، وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع اخوين.....الخ " (٤).
يعلق المباركفوري على هذه المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار بقوله : " كانت هذه المؤاخاة ربطا بين فرد من المهاجرين وبين فرد من الأنصار حيث أن المسلمين صاروا بعد اجتماعهم بالمدينة امة مستقلة " (٥) .
هذه المؤاخاة هي نواة المجتمع الإسلامي الأول الذي نشأ وترعرع في المدينة المنورة بعد هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم إليها .

ومن المبادئ التي جمعت المجتمع المسلم بعد الهجرة " الحب والإيثار " .

لقد ذكر الله تعالى ذلك في كتابه العزيز بقوله في الأنصار (( يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ )) سورة الحشر، الآية: ٩.
هذا الحب هو الذي جعل الأنصاري يقدم ممتلكاته الشخصية لأخيه المهاجر ، ويتنازل عن ملكيتها طوعيا له ، وقد بلغ هذا المبدأ مبلغا عظيما في تأثيره في سلوك المجتمع المسلم بعد الهجرة وبعد تطبيق مبدأ المؤاخاة بخاصة . فمن أمثلة ذلك أن سعد بن الربيع الأنصاري كان أكثر الناس مالا فقال لأخيه المهاجر عبد الرحمن بن عوف " رضي الله عنهما " : اقسم مالي نصفين ، ولي امرأتان ، فانظر أعجبهما إليك ، فسمها لي أطلقها ، فإذا انقضت عدتها فتزوجها . قال عبد الرحمن : بارك الله في اهلك ومالك ، أين سوقكم ؟ فدلوه على سوق بني قينقاع ، فما انقلب إلى ومعه فضل من أقط وسمن ، وما هي إلا أيام حتى اكتسب مالا ، وتزوج امرأة من الأنصار (١) . ومن ذلك ما رواه أهل السيرة من ان المهاجرين قالوا : " ما رأينا مثل قوم قدمنا عليهم أحسن مواساة في قليل ولا أحسن بذلا في كثير ، لقد كفونا المؤونة ، وأشركونا في المهنأ ، حتى لقد خشينا أن يذهبوا بالأجر كله،قال : لا ، ما أثنيتم عليهم ودعوتم الله لهم " (٢) .

ومن تلك المبادئ التي جمعت المجتمع المدني ( التضحية ) : فالمهاجرون ضحوا بأموالهم وأنفسهم لنصرة هذا الدين ، وفارقوا الأوطان والأهل والعشيرة ، وهم الذين نزل فيهم قول الله تعالى : ( الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون ) سورة التوبة /٢٠ .

إذ الهجرة كلها تضحية وفداء ، وبذل للنفس والمال ، والأنصار هم الآخرون الذين قابلوا

المهاجرين بالتضحية بأموالهم وما يملكون لراحتهم ، ولم يجدوا في صدورهم حاجة مما أوتوا وآثروا على أنفسهم نصرة لله تعالى ورسوله ﷺ .

فكل مجتمع يريد تجاوز المحن ، ويقف بوجه التحديات لابد أن تتوافر فيه المبادئ التي تجمع أفراده على الخير والوئام ، وحري بمجتمعنا ان يستنبط الدروس والعبر من المجتمع الإسلامي الأول في المدينة المنورة ، الذي شكلت مبادئ الدين ، والأخوة ، والحب والإيثار ، والتضحية ، أهم وسائل لحمته وتآلفه .

المبحث الثالث :

الآثار لمترتبة على نشأة المجتمع الإسلامي بعد الهجرة :

لما اشتد عود المجتمع الإسلامي بالمدينة المنورة وقويت لحمته ، وتكونت نواة أمة جديدة تربطها عقيدة واحدة هي عقيدة الإسلام ، ولان هذا الدين يحتاج إلى من يدافع عنه ويحمله للعالمين في مشارق الأرض ومغاربها ، فقد ترتبت على نشأة هذا المجتمع ما يأتي:

١ ــ دولة إسلامية ( نواة ) بالمدينة المنورة لها مقومات الدولة المطلوبة .

وأول هذه المقومات : هو وجود الدستور الذي ينظم العلاقة بين أفرادها من جهة ، وبينها وبين من هم خارجها من جهة أخرى . وقد تجسد ذلك بوثيقة المدينة التي أصدرها رسول الله صلى الله عليه وسلم والتي نصت من بين ما نصت عليه .

أ ــ بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد النبي صلى الله عيه ولم بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم أنهم امة واحدة من دون الناس (١) .

ب ــ وان المؤمنين المتقين على من بغى منهم ، أو ابتغى دسعية (٢) ظلم أو إثم ، أو عدوان ، أو فساد بين المؤمنين ، وان أيديهم عليه جميعا أو لو كان ولد احدهم (١) .

ج ــ لا يقتل مؤمن مؤمنا في كافر ، ولا ينصر كافرا على مؤمن ، وان ذمة الله واحدة ، وان المؤمنين بعضهم موالي بعض دون الناس .
د ــ ما كان بين أهل الذمة الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده ، فان مرده إلى الله عز وجل ، والى محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) .

وثاني مقومات هذه الدولة : وجود السلطة التنفيذية والتشريعية : والتي تمثلت في رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فالتنفيذ اقتصر عليه بنص الصحيفة ( الدستور ) ، ولما توسعت هذه الدولة أو كل جزءا من سلطته التنفيذية إلى الولاة الذين عينهم على المدن والأقاليم التي كلفوا بالعمل بها .

وثالث تلك المقومات : وجود حدود ومعالم لتلك الدولة وقد نصت الصحيفة النبوية على ان معالم وحدود الدولة الأولى ( الناشئة ) هي المدينة المنورة ففي نص الصحيفة : (( وان يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة )) (٣) .

وفي نص آخر:(( وانه من خرج أمن ، ومن قعد امن بالمدينة ، إلا من ظلم أو أثم ..)) (٤).

ورابع تلك المقومات : وجود قوة تدافع عن هذه الدولة ( الناشئة ) وقد ألزمت صحيفة المدينة جميع من يسكن في المدينة أن يدافع عنها إذا دهمها خطر خارجي سواء كانوا مسلمين أم غير مسلمين .
(( وان على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم ، وان بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة )) (٥) .

٢ ــ قوة مقاتلة تعد نواة لجيش عقائدي : بعد الهجرة وانتقال المهاجرين من مكة الى المدينة تشكلت نواة قوة من الرجال العقائديين المسلمين من مهاجرين وأنصار ، وبخاصة أن عدد المسلمين ازداد بمرور الأيام فلم تمض إلا قرابة السنة على الهجرة حتى انزل الله تعالى الإذن بالقتال لحماية الدين ، والدفاع عن الدولة المسلمة الناشئة في المدينة قال تعالى : (( أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ (٣٩) الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ . . . )) سورة الحج ، الآيتان : ٣٩ ـ ٤٠ .

وعلى اثر ذلك (( أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم يرتب البعوث والدوريات العسكرية ، ويؤمر عليها احد الصحابة وهي المسماة بالسرية ، أو يخرج فيها بنفسه ، وهي المسماة بالغزوة ، وكان المقصود منها :

١ ـ استكشاف حركات العدو ، وتأمين أطراف المدينة حتى لا يؤخذ المسلمون على غرّة .

٢ ـ الضغط على قريش بالتعرض لقوافلهم حتى يشعروا بالخطر على تجارتهم وأموالهم وأنفسهم ، فأما أن يفيقوا عن غيِّهم ويسالموا المسلمين ويتركوهم على حريتهم في نشر الإسلام والعمل ـ وهذا غاية ما يتمناه المسلمون ـ أو يختاروا طريق الحرب والقتال فيخسروا تجارتهم . . . ويلقوا جزاء شرهم وعدوانهم . . .

٣ ـ عقد مواثيق التحالف ، أو عدم الاعتداء مع القبائل الأخرى .

٤ ـ إبلاغ رسالة الله ، ونشر دعوة الإسلام قولا وعملا (١).

وهذا ما تم بالفعل بعد انطلاق أول السرايا والغزوات بدءا في السنة الثانية من الهجرة . فقد خرج النبي صلى الله عليه وسلم بنفسه ( غازيا في صفر على رأس أثني عشر شهرا من مقدمه المدينة . . . حتى بلغ ودّان ، وهي غزوة الابواء ، يريد قريشا وبني ضمرة . .

فوادعته فيها بنو ضمرة ثم رجع إلى المدينة ، ولم يلق كيدا . . قال ابن هشام : وهي أول غزوة غزاها صلى الله عليه وسلم ) (١) .

وتوجت تلك الغزوات والسرايا في السنة الثانية للهجرة بمعركة بدر الكبرى في رمضان ، والتي سميت يوم الفرقان ، حيث كتب الله النصر للمسلمين على المشركين ، وهكذا وبمرور الزمن قويت شوكة المسلمين واتسعت رقعة دولتهم فما فارق رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا حتى عم الإسلام ربوع الجزيرة العربية من أقصاها إلى أقصاها.

٣ ـ نزول آيات التشريع والمعاملات بالمدينة المنورة بعد الهجرة ، فبينما كانت الآيات القرآنية الكريمة التي نزلت بمكة تحض على الإيمان والصبر وتذكر قصص الأمم السابقة وما حل بهم من تكذيبهم لأنبيائهم ، وهذا هو الغالب عليها .

نجد أن السمة الغالبة على الآيات القرآنية المدنية هو التشريع والمعاملات وشؤون المجتمع والدولة ، فتشريع الجهاد نزل بالمدينة وهكذا الزكاة والصوم والحج ، والزواج والطلاق ، والبيع والشراء . . . وغير ذلك (٢) .

٤ ـ هجرةٌ إلى الله ورسوله : وحتى تكون النية خالصة في الهجرة إلى المدينة من مكة أو من غيرها ، لابد أن تكون النية خالصة لله تعالى ونصرة لدينه ، ولذلك شرع النبي صلى الله عليه وسلم الإخلاص في الهجرة وفي سائر الأعمال ، وليكون بناء المجتمع الجديد على الإخلاص والتقوى . وفي ذلك يقول عليه الصلاة والسلام : (( إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل أمريء ما نوى ، فمن كانت هجرته لدنيا يصيبها ، أو إلى امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه)) (٣).وفي هذا دليل على أهمية إخلاص العمل إلى الله تعالى ، ونجاحه في الواقع العملي.

الخاتمة

ونحن إذ نطوي صفحات البحث نود أن نقف على بعض الاستنتاجات والتوجيهات مما كتبناه عن اثر الهجرة في بناء المجتمع الإسلامي...وأهمها :

١. لابد لكل مجتمع من المجتمعات من عناصر متجانسة متآلفة تكوّن نسيجه وقد تمثل المجتمع الإسلامي الأول بالمهاجرين والأنصار . وكل مجتمع يريد أن ينهض بأعباء مسؤولياته لابد أن تتجانس عناصره ويتألف بعضها مع البعض الأخر.
٢. ان عوامل جمع شمل المجتمع الإسلامي كثيرة يمكن ان يرتبط بها ، أهمها رابطة الدين والعقيدة ، وهي التي تسمو على كل رابطة ، وثمة مبادئ وقيم إسلامية ربطت المجتمع المسلم بعد الهجرة " كالأخوة ، والحب والإيثار...." وهي مبادئ وقيم يحتاجها كل مجتمع وفي كل زمان ومكان.
٣. ان دولة الإسلام في المدينة كان لها مقومات كبيرة أسهمت في نجاحها وأهمها الوثيقة او الدستور الذي أصدره الرسول صلى الله عليه وسلم وهو ما تفخر به الدول الحديثة اليوم ، ولكن الإسلام سبق الجميع بهذه الوثيقة التي تضمنت مواداً سياسية وامنية وجنائية واجتماعية...وغير ذلك مما تحتاجه كل دولة.
٤. ولنا أن نتساءل: أين نحن من الهجرة اليوم؟ وقد وقفنا على بعض التضحيات والأعمال للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، مما كانت فخرا ومجدا وذكريات مشرفة للأجيال من بعدهم؟ فأين نحن من ذلك؟.
٥. أقول: ينبغي بنا ان نحقق الهجرة في واقعنا ، ولكن ليس من ارض الى ارض بل: هجرة من البعد الى الصلة بالله تعالى ، وهجرة من الجهل الى العلم ، ومن الغفلة الى الذكر ، ومن البخل الى البذل والعطاء ، ومن اللغو الى الجد والهمة والعزيمة. ومن الرذائل الى الفضائل ، ومن الشر الى الخير ، والمؤمن اليوم: (مهاجر أنصاري) ، مهاجر إلى الله في كل أعماله ، أنصاري في إخوته مع المسلمين ، قال تعالى ((والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا لنبوئنهم في الدنيا حسنة ولأجر الآخرة اكبر لو كانوا يعلمون ، الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون)). سورة النحل/٤١-٤٢.

## المصادر والمراجع


بعد القران الكريم:

١. البخاري ، محمد ابن إسماعيل(ت ٢٥٦ هـ) ، الجامع الصحيح ، طبعة القاهرة ، ١٩٥٨. والطبعة الدولية ١٩٩٩.

٢. جاد المولى ، محمد احمد وآخرون ، أيام العرب في الجاهلية ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٩٦١.

٣. جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، مكتبة النهضة ، بغداد ، ١٩٨٠.

٤. حسن خالد ، مجتمع المدينة قبل الهجرة وبعدها ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٨٦.

٥. السمهودي ، علي بن احمد المدني (ت٩١١ هـ). خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى ، دار الطباعة الخديوية ، مصر ، ١٢٨٥ هـ.

٦. شوقي أبو خليل ، الهجرة حدث غير مجرى التاريخ ، دار الفكر ، بيروت ، ٢٠٠٩.

٧. الصلابي ، د.علي محمد ، السيرة النبوية ( عرض وقائع وتحليل أحداث ) ، دار ابن كثير ، دمشق بيروت ، ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م .

٨. الطبري ، محمد ابن جرير(ت ٣١٠ هـ) ، تاريخ الرسل والملوك، طبعة دار المعارف ، مصر ، ١٩٧٦.

٩. العمري ، د.أكرم ضياء ، المجتمع المدني في عهد النبوة خصائصه وتنظيماته الأولى ، الجامعة الإسلامية ، المدينة المنورة ، ١٩٨٣ .

١٠ـ الفراجي ، د.عدنان علي ، الحياة الفكرية في المدينة المنورة في القرنين الاول والثاني للهجرة ، طبعة دار الكتب العلمية ، بيروت ، ٢٠٠٦.

١١ـ ابن كثير ، إسماعيل بن كثير الدمشقي ( ت٧٧٤هـ ) ، السيرة النبوية ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٩٧١م .

١٢ـ المباركفوري ، صفي الرحمن ، روضة الأنوار في سيرة النبي المختار ، طبعة ٦، الرياض ، ١٤٢٤هـ.

١٣ـ محمد حميد الله ، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة ، دار النفائس ، بيروت ، ٢٠٠١.

١٤ـ مسلم ، مسلم بن الحجاج (ت ٢٦١ هـ) ، الجامع الصحيح الطبعة الدولية ، ١٩٩٩.

١٥ـ النسائي ، احمد ابن شعيب (ت ٣٠٣ هـ). السنن ، طبعة القاهرة ، ١٩٨٧.

١٦ـ ابن هشام ، عبد الملك ابن هشام المعافري (ت ٢١٨ هـ). السيرة النبوية ، تحقيق مصطفى السقا وآخرون ، مصر ، ١٩٥٥.

١٧ـ ياقوت الحموي ، ياقوت ابن عبد الله (ت٦٢٦ هـ) ، معجم البلدان ، طبعة دار صادر ، بيروت ، ١٩٥٧.

**الهوامش :**

١. **سور الحج ، من الآية : ٤٠ .**
٢. **ينظر ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج١ ، ص٤٦٩ .**
٣. **م.ن ، ج١ ،ص ٤٧٢ .**
٤. **ابن هشام ، السيرة النبوية ، ١ / ٤٨٢. الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ٢ / ٣٧٢.**
٥. **سورة الأنفال،الآية:٣٠**
٦. **سورة الطور، الآيتان:٣٠-٣١**
٧. **ابن هشام ،السيرة النبوية ،٤٨٤/١.أيضا:الطبري،تاريخ،٣٧٥/٢.**
٨. **ينظر:ابن هشام ،السيرة ،٤٧٦/١-٤٧٩ بتصرف.**
٩. **سورة الحشر ، الآية: ٩.**
١٠. **يثرب :اسم المدينة المنورة قبل الإسلام.ينظر: ياقوت الحموي،معجم البلدان ٤٣٠/٥.**
١١. **ينظر: السمهودي، خلاصة الوفا... ، ص٨٤.**
١٢. **ينظر: جاد المولى ، أيام العرب في الجاهلية ، ص٦٢. أيضا:جواد علي ،المفصل في تاريخ العرب. ١٣٨/٤.**
١٣. **ينظر: ابن هشام ، السيرة النبوية ، ٥٨٤/١. أيضا: السمهودي ، خلاصة الوفا، ص٩٠.**
١٤. **الفراجي ، د.عدنان علي ، الحياة الفكرية في المدينة المنورة .... ، ص٢٣ .**
١٥. **ينظر : العمري ، المجتمع المدني ، ص٦٨- ٦٩ .**

١٦. الحديث بهذا اللفظ عند : البخاري ، الجامع الصحيح طبعة القاهرة ، ١٩٥٨ ، ٧٢/٥ . وعند النسائي بلفظ " لا هجرة بعد فتح مكة ، ولكن جهاد ونية ، فاذا استنفرتم فانفروا " السنن ، طبعة القاهرة ، ١٩٨٧، ١٤٦/٧ .

١٧. ينظر : الصلابي ، علي محمد ، السيرة النبوية ، ج١ ، ص٥٠٤-٥٠٥ .

١٨. ينظر: حسن خالد، مجتمع المدينة قبل الهجرة وبعدها ، دار النهضة بيروت ، ١٩٨٦،ص١٢٠.

١٩. ابن هشام،السيرة النبوية،ج١ ، ص٥٠١.

٢٠. ابن هشام ، السيرة النبوية ، ٥٠١/١ .

٢١. المصدر نفسه ،٥٠٥/١ .

٢٢. المصدر نفسه ،٥٠٥/١ .

٢٣. صفي الرحمن المباركفوري ، روضة الأنوار في سيرة النبي المختار، طبعة الرياض،١٤٢٤هـ ص١٥٦.

٢٤. ينظر: ابن كثير ، إسماعيل الدمشقي (ت٧٧٤هـ ) ، السيرة النبوية ، دار المعرفة ، بيروت ،١٩٧١م ، ٣٢٨/٢ . وينظر أيضا : المباركفوري،روضة الأنوار،ص١٥٧.

٢٥. ينظر: ابن كثير،السيرة النبوية،٣٢٨/٢ .

٢٦. ابن هشام ، السيرة النبوية ، ٥٠١/١ . وينظر محمد حميد الله ، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة ، دار النفائس ، بيروت ، ٢٠٠١م ، ص٥٩.

٢٧. الدسيعة : العظيمة أي ما ينال بسببه من ظلم ( ابن هشام ، السيرة النبوية ، ٥٠١/١ ، هامش /٥ .

٢٨. ابن هشام ، السيرة النبوية ، ١ج ، ص٥٠٢ ـ ٥٠٣ .

٢٩. المصدر نفسه ، ج١ ، ٥٠٤ .

٣٠. المصدر نفسه ، ج١ ، ٥٠٤ .

٣١. المصدر نفسه ، ج١ ، ٥٠٤ .

٣٢. المصدر نفسه ، ج١ ، ٥٠٣ ـ ٥٠٤ .

٣٣. المباركفوري ، روضة الأنوار ، ص١٦٣ ـ ١٦٤ .

٣٤. ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج١ ، ص٥٩٠ ـ ٥٩١ .

٣٥. ينظر:شوقي ابو خليل، الهجرة حدث غير مجرى التاريخ ، ص١٣١.

٣٦. الحديث بهذا اللفظ عند البخاري برقم ١، ٢٥٢٩، ٣٨٩٨. مسلم برقم ١٩٠٧، باختلاف في اللفظ.